خطبة الجمعة القادمة (صوت الدعاة)
نخبة متميزة
من علماء الأزهر الشريف
ووزارة الأوقاف المصرية

جريدة
صوت
الدعاة

صوت الدعاة
www.doaah.com

الرَّسُولُ الْمُعَلِّمُ ﷺ

27 ربيع الأول 1447هـ - 19 سبتمبر 2025م

إعداد: رئيس التحرير د. أحمد رمضان

الموضـــــــوع

الحمدُ للهِ الَّذي علَّمَ بالقَلَمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَمْ، وجعلَ العلمَ سبيلًا للنَّجاةِ والفوزِ، ورفعَ به أقوامًا فجعلَهم أئمَّةً يُهتدى بهم في الظُّلُماتِ، أحمدُهُ سبحانه وأشكرُه، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا محمَّدًا عبدُ اللهِ ورسولُه، بعثَهُ اللهُ مُعَلِّمًا للخلقِ، ومُزَكِّيًا للنفوسِ، وهادِيًا للبشريةِ إلى سُبُلِ السَّلامِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ وأصحابِه وأتباعِه إلى يومِ الدِّينِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

عناصر الخطبة:

العُنْصُرُ الأَوَّلُ: الرَّسُولُ الْمُعَلِّمُ فِي نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ

العُنْصُرُ الثَّانِي: صُوَرٌ نَبَوِيَّةٌ مُشْرِقَةٌ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ

العُنْصُرُ الثَّالِثُ: بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فِي مَدْرَسَةِ النُّبُوَّةِ

أيُّها الإخوةُ الكرام: حديثُنا في هذا اليوم المبارك عن سيِّدِ الأنام، وخيرِ من مشى على الأقدام، عن الرَّسولِ المُعَلِّم ﷺ، الَّذي أخرجَ اللهُ به الناسَ من ظلماتِ الجهلِ إلى أنوارِ العلمِ، ومن ضيقِ الأفقِ إلى سعةِ الدنيا والآخرةِ، عن النبيِّ الذي كان رحمةً مهداةً، ومُعلِّمًا كريمًا، ومربِّيًا حكيمًا.

العُنْصُرُ الأَوَّلُ: الرَّسُولُ الْمُعَلِّمُ فِي نُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ

أيُّها الأحبَّةُ في الله: لقد وصفَ اللهُ تعالى نبيَّه ﷺ في كتابِه بأوصافٍ جليلةٍ، فجعلَ من أعظمِها أنَّه مُعَلِّمٌ ومُزكٍّ. قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 151]. فهذا نصٌّ صريحٌ يُبيِّنُ أنَّ وظيفتَه ﷺ قائمةٌ على التعليمِ والتزكيةِ، التعليمِ الَّذي يملأ العقولَ نورًا، والتزكيةِ الَّتي تطهِّرُ القلوبَ من أدرانِها.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2]. وجاءَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّه ﷺ قال: «.. إنَّ اللهَ لم يبعثْني مُعنِّتًا، ولا مُتَعنِّتًا، ولكن بعثني مُعلِّمًا مُيَسِّرًا» (مسلم 1478). فانظروا .رحمكم الله .كيف لخَّصَ رسالتَه العظمى في كلمةٍ واحدة: مُعَلِّمًا، ليبقى هذا اللقبُ شاهدًا على عظمةِ مهمَّتِه، وخلودِ رسالتِه.

وكان ﷺ يَسلكُ في تعليمِه الطُّرقَ البليغةَ، فكان يكرِّرُ الكلمةَ ثلاثًا ليُرسِّخَها في القلوبِ، ويضربُ الأمثالَ الحيَّةَ، ويخاطبُ العقولَ على قدرِ أفهامِها. ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه ﷺ: "كانَ إذَا تَكَلَّمَ بكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلَاثًا، حتَّى تُفْهَمَ عنْه" (البخاري، ح. 95).

وكان ﷺ يُعلِّمُ بالقدوةِ قبل القولِ، فكان إذا أمرَ بشيءٍ كان أسبقَ الناسِ إليه، وإذا نهى عن أمرٍ كان أبعدَ الناسِ عنه، حتى صار تعليمُه أبلغَ من آلافِ الخطبِ والمواعظِ.

ومن روائعِ تعليمِه ﷺ ما أخرجه البخاري (ح. 2409) ومسلم (ح. 1829) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...» الحديث.

إنَّه منهجٌ في التربيةِ والتعليمِ قائمٌ على إشعارِ كلِّ فردٍ بمسؤوليتِه، وربطِه بدوره في الحياةِ والمجتمعِ.

وكان ﷺ يُحوِّلُ الموقفَ الجافَّ إلى درسٍ خالدٍ. فقد جاءَه الأعرابيُّ يسأله عن الساعةِ، فقال له ﷺ: «مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ ولَا صَوْمٍ ولَا صَدَقَةٍ، ولَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (البخاري ح. 6171؛ مسلم ح. 2639).

فانظروا كيف حوَّلَ السؤالَ من جدلٍ في الغيبِ إلى تربيةٍ على العملِ والاستعدادِ.

وكان ﷺ يُعلِّمُ النساءَ كما يُعلِّمُ الرجالَ، ويخصِّصُ لهنَّ وقتًا. فقد روى البخاري (ح. 101) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالتِ النِّسَاءُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِن نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، فَكانَ فِيما قَالَ لهنَّ: ما مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِن ولَدِهَا، إلَّا كانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ: و اثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: و اثْنَتَيْنِ". فهذا هو المعلمُ الرَّحيمُ، لم يُقصِ أحدًا من دائرةِ التعليمِ، بل جعلَ للنساءِ نصيبًا كريمًا، في وقتٍ كانت المرأةُ فيه لا تُورَثُ ولا تُعلَّمُ. أيُّها الأحبَّةُ: إنَّ هذه النصوصَ من الوحيينِ تؤكِّد أنَّ محمَّدًا ﷺ كان مُعلِّمًا للأمةِ، مربِّيًا لها على الفضائلِ، رافعًا لها بالعلمِ، مُصْلِحًا لعقولِها وقلوبِها. فإذا أردنا أن نعرفَ قيمةَ العلمِ في الإسلامِ فلننظرْ إلى سيِّدنا رسولِ الله ﷺ، كيف عاشَ معلِّمًا، وماتَ وهو يوصي بالعلمِ والهدايةِ.

العُنْصرُ الثَّاني: صُوَرٌ نَبَوِيَّةٌ مُشْرِقَةٌ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ

أيُّها الأحبَّةُ في الله: إذا كانَت النُّصوصُ القرآنيةُ والحديثيةُ قد بيَّنت أنَّ النبيَّ ﷺ مُعَلِّمٌ، فإنَّ حياتَه الشريفةَ زاخرةٌ بالشواهدِ العمليةِ والقصصِ المؤثِّرةِ التي تُجسِّدُ دورَه التعليميَّ والتربويَّ. فقد كان ﷺ يعلِّمُ بالقولِ والفعلِ، بالتوجيهِ والإشارةِ، بالموعظةِ الحسنةِ والقدوةِ البليغةِ:

1- تعليمُه بالصَّبرِ والحكمةِ

روى البخاري (ح. 6823) ومسلم (ح. 285) عن أنسٍ رضي اللهُ عنه: "بيْنَما نَحْنُ في المَسْجِدِ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ. إذْ جاءَ أعْرابِيٌّ فَقامَ يَبُولُ في المَسْجِدِ، فقالَ أصْحابُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: مَهْ مَهْ، قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حتَّى بالَ، ثُمَّ إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ دَعاهُ فقالَ له: إنَّ هذِه المَساجِدَ لا تَصْلُحُ لِشيءٍ مِن هذا البَوْلِ، ولا القَذَرِ إنَّما هي لِذِكْرِ اللهِ عزَّوجلَّ، والصَّلاةِ وقِراءَةِ القُرْآنِ".

أيُّ رِفقٍ هذا؟! لقد حوَّلَ الموقفَ من مشهدِ فوضى إلى درسٍ خالدٍ في الرِّفقِ وحُسنِ التعليمِ، فكان الأعرابيُّ يقولُ بعدها: "اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا".

2- تعليمُه باستخدامِ الرَّسمِ والتَّوضيحِ

كان ﷺ يُقرِّبُ المعاني للأذهانِ بالتصويرِ العمليِّ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "خَطَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا في الوَسَطِ خَارِجًا منه، وخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إلى هذا الذي في الوَسَطِ مِن جَانِبِهِ الذي في الوَسَطِ، وقَالَ: هذا الإنْسَانُ، وهذا أجَلُهُ مُحِيطٌ به - أوْ: قدْ أحَاطَ به - وهذا الذي هو خَارِجٌ أمَلُهُ، وهذِه الخُطَطُ الصِّغَارُ الأعْرَاضُ، فإنْ أخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا، وإنْ أخْطَأَهُ هذا نَهَشَهُ هذا". (البخاري، ح. 6417).

بهذا الرَّسمِ البسيطِ، غرَسَ في قلوبِ الصحابةِ معنى الحياةِ والموتِ والأملِ والمصيرِ، بطريقةٍ تبقى في الذاكرةِ أكثرَ من مائةِ خطبةٍ.

3- تعليمُه للشَّبابِ بالرِّفقِ والتَّشجيعِ

ومن ذلك أنَّ غلامًا شابًّا أتى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فقال: "يا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي بالزِّنا، فأقبَلَ القَومُ عليه فزَجَروه وقالوا: مَهْ، مَهْ! فقال: ادْنُهْ، فدَنا منه قَريبًا، قال: فجَلَسَ، قال: أتُحِبُّه لأُمِّكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لأُمَّهاتِهم، قال: أفتُحِبُّه لابنتِكَ؟ قال: لا واللهِ، يا رسولَ اللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لبَناتِهم، قال: أفتُحِبُّه لأُختِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لأَخَواتِهم، قال: أفتُحِبُّه لعَمَّتِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لعَمَّاتِهم، قال: أفتُحِبُّه لخالتِكَ؟ قال: لا واللهِ، جَعَلَني اللهُ فِداءَكَ، قال: ولا النَّاسُ يُحِبُّونَه لخالاتِهم، قال: فوَضَعَ يدَه عليه وقال: اللَّهُمَّ اغفِرْ ذَنبَه، وطَهِّرْ قَلبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه، قال: فلمْ يَكُنْ بعدَ ذلك الفَتى يَلتفِتُ إلى شيءٍ» (رواه أحمد (22211) واللفظ له، والطبراني (190/8) (7679)، صحيح. بهذا الحوارِ الحكيمِ تحوَّلَ الشابُّ من طائشٍ إلى تائبٍ نادمٍ، فصار موقفًا تربويًّا خالدًا.

4- اهتمامُه بتعليمِ الكِبارِ والصِّغارِ

كما قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولو اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ". **الترمذي (2516) واللفظ له، وأحمد (2669) صحيح.**

انظروا .رعاكم الله .كيف يخاطبُ غلامًا صغيرًا بكلماتٍ عظيمةٍ تُربي في قلبِه التوحيدَ والاعتمادَ على اللهِ. لقد كانت دروسًا تختصرُ طريقَ الإيمانِ واليقينِ في سطورٍ يسيرةٍ.

5- حرصُه على تعليمِ الكتابةِ والقراءةِ

ومن دلائلِ عنايتِه ﷺ بالتعليمِ أنَّه جعلَ فداءَ أسرى بدرٍ تعليمَ أبناءِ المسلمين القراءةَ والكتابةَ، كما أخرج ابن إسحاق في السيرة (السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص292). فكان هذا تأسيسًا لمنظومةِ التعليمِ في الأمةِ منذ بداياتِها، ليُعلَمَ أنَّ العلمَ أعظمُ من المالِ، وأنَّ الأمةَ لا تُبنى إلَّا بالمعرفةِ.

قصَّةُ زيدِ بنِ ثابتٍ في تعلمِ اللغاتِ

ومن صورِ التعليمِ النبويِّ (في مسند أحمد، ج5، ص186): عن زيد بن ثابت: "أمرَني رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ أن أتعلَّمَ لَهُ كتابَ يَهودَ قالَ إنِّي واللَّهِ ما آمَنُ يَهودَ علَى كتابي، قالَ: فما مرَّ بي نِصفُ شَهْرٍ حتَّى تعلَّمتُهُ لَهُ، قالَ: فلمَّا تَعلَّمتُهُ كانَ إذا كتبَ إلى يَهودَ كتبتُ إليهِم، وإذا كتَبوا إليهِ قرأتُ لَهُ كتابَهُم". أبو داود (3645)، والترمذي (2715) واللفظ له. وهذا يبيّنُ أنَّ الرسولَ ﷺ كان يُشجِّعُ على تحصيلِ العلومِ الَّتي تخدمُ رسالةَ الإسلامِ، ولو كانت من لغاتٍ أخرى.

6- وصايا تعليميةٌ جامعة

ومن وصاياه الجامعةِ في التعليمِ ما أوصى به معاذَ بنَ جبلٍ رضي الله عنه حين بعثَه إلى اليمن، فقال: « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِن أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إلى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذلكَ، فأخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَومِهِمْ ولَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فأخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عليهم زَكَاةً في أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِن غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ علَى فقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بذلكَ فَخُذْ منهمْ، وتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ» (البخاري ح. 7372؛ مسلم ح. 19).

أيُّها الإخوةُ الكرام: هذه بعضُ الصورِ المشرقةِ من حياةِ الرَّسولِ المُعَلِّمِ ﷺ، جمعت بين الحكمةِ والصبرِ، بين القدوةِ والقولِ، بين الجدِّ والرِّفقِ. إنَّها مدرسةٌ متكاملةٌ، لو التزمَ بها المعلِّمون والدُّعاةُ لخرَّجوا أجيالًا صادقةً ثابتةً على الحقِّ.

العُنْصُرُ الثَّالِثُ: بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ فِي مَدْرَسَةِ النُّبُوَّةِ

أيُّها الأحبَّةُ في الله: لقد علَّمنا رسولُ الله ﷺ أنَّ العلمَ ليس غايةً في نفسِه، وإنَّما هو طريقٌ للعملِ والاهتداءِ، فالعلمُ شجرةٌ، والعملُ ثمرتُها. وإذا انفصلَ العلمُ عن العملِ صار وبالًا على صاحبِه، وحُجَّةً عليه يومَ القيامةِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف: 2-3]. قال الإمامُ السعديُّ رحمه الله: "هذا عتابٌ من اللهِ للمؤمنين إذ يقولونَ الخيرَ ولا يفعلونَه، ويمتدحونَ أنفسَهم بصفاتٍ لا يتحقَّقون بها؛ فكيف يليقُ بالمؤمنِ أن يكونَ على هذه الحال؟!" (تفسير السعدي ص 858).

العلمُ يهتفُ بالعمل

قال سفيانُ الثوريُّ رحمه الله: "العلمُ يهتفُ بالعمل، فإن أجابه وإلَّا ارتحل" (بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج1، ص706). وقال مالكُ بنُ دينارٍ رحمه الله: "إنَّ العالمَ إذا لم يعملْ بعلمِه زلَّت موعظتُه عن القلوبِ كما تزلُّ القطرةُ عن الصفا" (صفة الصفوة لابن الجوزي، ج2، ص167). فهؤلاء الأئمَّةُ أخذوا من مدرسةِ النبيِّ ﷺ درسًا خالدًا: لا قيمةَ لعلمٍ لا يُثمرُ عملًا.

نماذجُ نبويةٌ بين العلمِ والعملِ

1- النبيُّ ﷺ أولُ العاملين بما علَّم

ما كان يأمرُ بشيءٍ إلَّا كان أسبقَ الناسِ إليه، وما نهى عن أمرٍ إلَّا كان أبعدَ الناسِ عنه. ففي الصحيحين أنَّه ﷺ قال: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (البخاري ح 631 ومسلم ح. 674). فجعلَ فعلَه هو المعيارَ، وأمرَ الأمةَ بالاقتداءِ به لا بغيرِه.

2- الصحابةُ يتلقَّون العلمَ للعملِ به

قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: "كان الرجلُ منَّا إذا تعلَّمَ عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهنَّ والعملَ بهنَّ" (رواه الطبري في جامع البيان، ج1، ص80، بإسنادٍ صحيح).

فهذا منهجٌ نبويٌّ: العلمُ مقرونٌ بالعملِ، لا يتخطَّى إلى غيرِه حتَّى يُترجَم إلى واقعٍ.

روى البخاري (ح. 1968) عن سلمانَ وأبي الدرداءِ رضي الله عنهما، **أنَّ النبيَّ ﷺ آخى بينهما، فزار سلمانُ أبا الدرداءِ، فإذا أمُّ الدرداءِ متبذِّلةٌ، فقال لها: ما شأنُك؟ قالت: أخوك أبو الدرداءِ ليس له حاجةٌ في الدنيا. فجاء أبو الدرداءِ، فقرَّب إليه طعامًا، فقال: كُل، فإنِّي صائمٌ. قال سلمان: ما أنا بآكلٍ حتى تأكلَ. فأكلَ. فلمَّا كان الليلُ ذهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، فمنعه سلمان، وقال له: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفسِك عليك حقًّا، ولأهلِك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: "صَدَقَ سَلْمَانُ".**

إنَّها تربيةٌ نبويةٌ على أنَّ العلمَ لا ينفصلُ عن العملِ المتوازنِ، وأنَّ العبادةَ لا تُغني عن الحقوقِ الأخرى.

3- العلمُ في الموقفِ العمليّ

ومن أروعِ الشواهدِ أنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن يُعلِّمُ الناسَ فحسب، بل كان يُربِّيهم على أن يُحاسبوا أنفسَهم بما علِموا.

فقد روى الترمذي (ح. 2417) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ حتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»**. قال الترمذي: حسن صحيح.

فجعلَ العلمَ محورًا من محاورِ السؤالِ، ليعلَمَ المسلمُ أنَّ العلمَ أمانةٌ يُسألُ عنها كما يُسألُ عن العمرِ والمالِ.

يا أيُّها الرَّجلُ المعلِّمُ غيرَهُ *** هلا لنفسِكَ كان ذا التعليمُ

تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضَّنا *** كيما يصحَّ به وأنتَ سقيمُ

ابدأ بنفسِكَ فانهَها عن غيِّها *** فإذا انتهتْ عنهُ فأنتَ حكيمُ

لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثلَهُ *** عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ

أيُّها المؤمنون: هذه هي مدرسةُ النبيِّ ﷺ، مدرسةٌ لا تفصلُ بين العلمِ والعملِ، بل تجعلهما قرينينِ متلازمينِ. فالعلمُ بلا عملٍ وبالٌ، والعملُ بلا علمٍ ضلالٌ، والكمالُ أن يجتمعَا ليكونا نورًا على نورٍ

أيُّها الأحبَّةُ في الله: لقد كان رسولُ الله ﷺ هو المعلِّمَ الأوَّلَ لهذه الأمةِ، أرسله اللهُ بالهدى ودينِ الحقِّ ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ. علَّمَ الجاهلَ، وهذَّبَ النفوسَ، وربَّى الأجيالَ، وأقامَ حضارةً قاعدتُها العلمُ والعملُ.

فواجبُنا اليومَ أن نحملَ مشعلَ العلمِ كما حملَه ﷺ، وأن نُربِّي أبناءَنا على حبِّ القرآنِ والسُّنَّةِ، وأن نغرسَ في قلوبِهم أنَّ العلمَ عبادةٌ، وأنَّه سلاحُ الأمةِ، وحصنُها، وعزُّها.

اللَّهُمَّ ارزقنا علماً نافعاً، وعملاً متقبَّلاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً. اللَّهُمَّ اجعل أبناءَنا قُرَّةَ عينٍ لنا في الدنيا والآخرة، ووفِّقهم للعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ. اللَّهُمَّ اجعل هذا البلدَ آمناً مطمئنًّا وسائرَ بلادِ المسلمينَ.

المراجع: القرآن الكريم

كتب الحديث: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، مسند أحمد، المعجم الكبير للطبراني. ثالثًا: كتب التفسير وشروح الحديث وغيرهما: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تفسير ابن كثير، تفسير السعدي، السيرة النبوية لابن هشام، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، صفة الصفوة لابن الجوزي.

د. أحمد رمضان